﴿قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨﴾ [الشعراء: 96 - 98]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قَبْلَها:

ختامُ موعظةِ إبراهيمَ عليه السلام بكلامٍ يُصوِّر هَوْلَ يوم القيامة

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ﴾ مِن تتمَّة حِكايةِ كلام إبراهيمَ عليه السلام؛ أَطنَبَ به للمَوعظة، أي: إنَّ إبراهيم عليه السلام - بعد أنْ دعا بدعواتٍ، منها: ألّا يُخزيَهُ اللهُ يومَ يُبعثون - وصفَ يوم القيامة بثلاثة أوصاف ومنها: ﴿قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ﴾[1]؛ لتَصويرِ هَوْلِ ذلك اليَوم، ويجوزُ أنْ تكونَ حِكايةُ كلامِ إبراهيمَ عليه السلام انتهَتْ عِندَ قَولِه تعالى: ﴿وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ﴾، أو عِندَ قَولِه تعالى: ﴿يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾، ويكونَ هذا الكلامُ مَوعظةً مِنَ اللهِ للسّامِعينَ مِنَ المُشركينَ، وتَعليمًا منه لِلمُؤْمنينَ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾: أصلُ (خصم) يدلُّ على المُنازَعَةِ[3]، والخَصِمُ: المختصُّ بالخُصومة[4]، والذَّكَرُ والأُنثَى فيه سَواءٌ، والخِصامُ: مصدرُ خاصَمتُهُ مُخاصمةً وخِصامًا، وقد يُجمَعُ الجَمعُ على خُصوم[5]، والمُخاصَمَة: أن يتعلَّق كلُّ واحدٍ بخصمِ الآخر، أي: جانبه، وأنْ يجذبَ كلُّ واحدٍ خصمَ الجوالق من جانب[6]، والمرادُ بالمخاصمة في الآية: المُنازعةُ والمجادلةُ بالكلام.

2) ﴿نُسَوِّيكُم﴾: أَصْلُ (سوي) يَدُلُّ على اسْتِقامَةٍ واعْتِدالٍ

(1) الزّحيلي، التّفسير المنير: 19/ 179.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 152.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خصم).
(4) الرّاغب، المفردات: (خصم).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خصم).
(6) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (خصم).

بَيْنَ شَيْئَيْنِ، يُقالُ: هذا لا يُساوي كذا، أَي: لا يُعادِلُهُ، وفُلانٌ وفُلانٌ على سَوِيَّةٍ مِنْ هذا الأَمرِ، أَيْ: سَواء[1]، والتَّسْوِيَةُ: ضِدُّ المُفاضَلَةِ، وتأْتي بِمعنى العَدْلِ والإِنْصافِ، فيُقال: سَوَّيْتُ بين الشَّيْئَيْنِ؛ إذا عَدَلت بَيْنَهُما[2]، وسَواءُ الشَّيءِ: وسَطُه؛ لاسْتِواءِ المسافةِ إِلَيْه مِنَ الأَطْرافِ[3]، والمراد بالتَّسويةِ في الآيةِ: المُعادَلَةُ والمُماثَلَةُ، أَيْ: نَعْدِلُكُم، فنجعلُكم مِثْل ربِّ العالمينَ في العِبادة[4].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

وصفٌ إبراهيميٌّ ثالثٌ ليوم القيامة يصوِّر هولَهُ وشدَّتَهُ

يقول سبحانه وتعالى؛ حكايةً عن إبراهيم ﷺ واصفًا يوم القيامة بوصفٍ ثالثٍ تصويرًا لهوله: قال أهلُ النّارِ لِمَعبوداتِهم، وهم في النّارِ يتخاصَمونَ، ويجادِلُ بعضُهم بعضًا، أي: وهم في حالِ الغيظِ الشَّديد – من المخاصمة والمحاجَّة بينهم وبين الآلهة المعبودة والشَّياطين الدّاعية لتلك العبادة – قالوا: واللهِ إنَّنا كُنّا في الدُّنيا في ذَهابٍ واضحٍ عن الحَقِّ، حينَ سوَّيْناكم برَبِّ العالَمينَ، فعَبدْناكم، وأَطَعْناكم، كما يُعبَدُ اللّهُ، ويُطاعُ[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ فصل الآيةِ عَمَّا قبلَها:

استئنافٌ يبيِّن حالَ الغاوين ومعبوداتهم بعد كبكبتهم في النّار

فُصِل قولُ الله تعالى: ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ عمّا قبلُ؛ لوقوعه استئنافًا بيانيًّا؛ لِما بين الجملتين من شبهِ كمالِ الاتِّصال، وقع جوابًا عن سؤالٍ نشأَ من حكايةِ حالهم، كأنَّه قيل: ماذا قالوا حينَ فُعِل بهم ما فُعِل؟ فقيل: قال العَبَدةُ: ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾[6]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي).
(2) الأزهريّ، تهذيب اللغة: (سوا).
(3) الجوهريّ، الصحاح: (عدل).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 154.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 599، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 116، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 150، والزّحيلي، التّفسير المنير: 19/ 179.
(6) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 58، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 252.

أو قيل: ما فائدةُ إيقاعِ الأصنامِ في النّارِ، مع أنَّها لا تَفْقَهُ، ولا تُحِسُّ؟ فبُيِّنَ له ذلك[1].

دلالةُ الإسنادِ في قوله: ﴿قَالُواْ﴾:

حـــالُ أهـــلِ الـغـوايـةِ يـومَ القيامة التَّحسُّرُ مـن كـلِّ فـردٍ منهم لِما يلاقونه من عذابٍ شديدٍ

في إسنادِ القول للجميع في قوله: ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ دلالةٌ على حصولِ القول مِن كلِّ فردٍ مِن المُحدَّثِ عنهم، بما يدلُّ على سوءِ حال الجميع بلا استثناء؛ لِما يلاقونه من عذابٍ شديدٍ لا يستثني منهم أحدًا، يدفعُ كلَّ واحدٍ منهم إلى هذا الخصام والجدال، وبذلك يكون فيه مزيدٌ من تحذيرِ المخاطَبين وتحفيزهم على المسارعة لعبادة الله، ونبذِ أصنامهم، عندما يعلمون بأنَّ حالهم يوم القيامة هو التَّحسُّرُ من كلِّ فردٍ منهم، بالإضافة إلى توافق ذلك مع السّياق الذي جاء بأسلوب الجماعة: ﴿تَعْبُدُونَ﴾ و﴿يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ و﴿فَكُبْكِبُواْ﴾ و﴿أَجْمَعُونَ﴾.

معنى الواو في قوله: ﴿وَهُمْ﴾:

حالُ غيظٍ شديدٍ مـن المخاصمة والمـحـاجَّـة بـين الـغـاوين والآلهة المعبودةِ والشَّياطين

الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ حاليَّةٌ[2]، والجملةُ حاليَّةٌ معترضةٌ بين القَوْل وبين مقولِه[3]، والمعنى: "قالوا معترفين بخطئهم في انهماكِهم في الضَّلالةِ متحسِّرين معيِّرين لأنفسِهم، والحال أنَّهم في الجحيم بصددِ الاختصام مع من معهم من المذكورينَ"[4]، وهي "حالُ الغيظِ الشَّديدِ من المخاصمة والمحاجَّة بينهم وبين الآلهةِ المعبودة والشَّياطين الداعية لتلك العبادة"[5].

نكتةُ التَّقديمِ في ﴿فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾:

اختصاصُ النّار مكانًا لتخاصمِ أهلها

قدَّم البيانُ القرآنيُّ الجار والمجرور ﴿فِيهَا﴾ على عامله، وهو

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 152 - 153.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 152، 153، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5374.
(3) القونوي وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 14/ 268.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 252.
(5) الزّحيلي، التّفسير المنير: 19/ 179.

﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ﴾، والتَّقديرُ: (وهم يختصمون فيها)؛ لإفادة الاختصاصِ والتَّوكيد، أي: إنَّ الخصوصيَّةَ هنا تكونُ في المكان الذي يحدثُ فيه الخصام، وفي ذلك إشارةٌ إلى سببِ الاختصام بين العبدة - المعاندين في الدُّنيا - ومعبوداتهم أو من أضلوهم، وهو دخولُهم النّار وعذابهم فيها، كما أنَّ في التَّقديم مراعاةً للفاصلة القرآنيَّةِ في الآيات، مثل: ﴿وَٱلۡغَاوُۥنَ﴾ ﴿أَجۡمَعُونَ﴾.

دلالةُ صيغةِ الافتعال في قوله: ﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾:

مبالغةٌ في التَّخاصم والتَّنازُعِ بين العَبَدَةِ ومَعبوداتهم وجنودِ إبليس

كلمة ﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾ مأخوذةٌ من الجذر (خصم)، وهي في صيغة الافتعال (اختصم)، وصيغةُ الافتعالِ في اللُّغة العربيَّة للدَّلالة على المبالغة، أو التَّوكيد في الحركة أو الفعل، ولذا فالتَّعبيرُ بكلمةِ ﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ﴾ يشيرُ إلى أنَّ هؤلاءِ المكبكَبين في النّار من العَبَدَةِ والمعبوداتِ والشَّياطين، لا يتنازعون، أو يتجادلون في سبب ضلالهم ودخولهم النّار فحسب، بل يتخاصمون بشدَّة أو بمراوغة.

دلالةُ صيغةِ المضارع ﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾:

تخاصمٌ وتنازعٌ مستمرٌّ يدلُّ على شدَّةِ العذابِ والنَّدم

صيغةُ المضارع ﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾ في الآية الكريمةِ: ﴿قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ﴾ تُصوِّرُ الحالةَ التي سيكون فيها العَبَدَةُ ومعبوداتهم وجنود إبليس في النّار؛ وهي حالةُ التَّنازع والتَّخاصم، وتدلُّ على أنَّها حالةٌ مستمرَّة منهم ومتكرِّرة، بما يشيرُ إلى شدَّةِ العذاب التي تدفعهم إلى الاستمرار في هذه المخاصمةِ.

سرُّ حذف متعلَّقِ قوله: ﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾:

حَذَفَ النَّظمُ الحكيمُ متعلَّقَ الفعل في قوله: ﴿يَخۡتَصِمُونَ﴾؛ إذ ذكر أنَّهم يختصمون في النّار، ولم يذكر فيمَ تكون خصومتهم؟ إيجازًا؛

إيـجـازٌ يـفـيـدُ العمومَ لكلِّ ما يمكن أنْ يكونَ مـن المتـنـازعين مـن الأتـبـاع والمتبوعين

لأنَّه ذُكِرَ في آية أخرى: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [سبأ: 31]، إلى آخرِ ما ذكر، وقوله: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾ [ص: 61]، وقوله: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ [الأعراف: 38]، وأمثاله من المجادلات التي تجري فيما بين الأتباع والمتبوعين[1]، وهذا الإيجازُ يفيدُ العمومَ لكلِّ ما يمكن أنْ يكون من المتنازعين من الأتباع والمتبوعين في جهنَّم، كما أنَّه يحفِّزُ للرُّجوع إلى الآيات الأخرى، أو أنْ تكون مخاصمتُهم ما ذُكر بعده مباشرةً من قوله: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

الموقعُ الإعرابيُّ لقوله: ﴿تَٱللَّهِ﴾:

جملةُ ﴿تَٱللَّهِ﴾ مقولُ القول، وجملة: ﴿إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ جوابُ القسَم[3]، وهذا القسَمُ يعبِّر عن تأكيد الكفّار بأنَّهم كانوا في ضلالٍ مبينٍ عندما عبدوا غيرَ اللّهِ، وأطاعوا أمرَ الطُّغاة، ويُعبّر عن ضلالهم المبين الذي يدلُّ على حسرتهم وتوبيخهم لمعبوداتهم.

نكتةُ مجيءِ القسم بصيغة ﴿تَٱللَّهِ﴾:

تعجُّبُ الغاوين مِـن عـبـادتـهـم حجارةً لا تُغني عـنـهـم شيـئًـا، واستسلامُـهـم وذلُّـهـم أمـام جلالِ الله

جيءَ في القَسم بالتّاءِ دونَ الواوِ والباءِ في قوله: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ لأنَّ التّاءَ تَختَصُّ بالقسَم في شيءٍ مُتعجَّبٍ منه، فهم يَعجَبونَ مِن ضلالِهم؛ إذ ناطوا آمالَهم المعونةَ والنَّصرَ بحجارةٍ لا تُغني عنهم شيئًا[4]، ممّا يدلُّ على نَدَمِ أهلِ النّارِ ندمًا عظيمًا، كما أنَّ التَّعبيرَ باسم الجلالة في المقسم به يدلُّ على غايةِ استسلامهم وذلِّهم أمامَ جلالِ اللّه سبحانه وعظمتِهِ - الذي يجمعُ كلَّ صفات الكمال - وتحسُّرِهم يوم لا ينفعهم ذلك، وفي ذلك زرعٌ

(1) الشّنقيطي، أضواء البيان: 6/ 93.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السّنّة: 8/ 68.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 153.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 153.

للمهابةِ في قلوبِ المخاطَبين من المشركين، وحثٌّ لهم أنْ يتَّعظوا قبل فوات الأوان.

نوعُ ﴿إن﴾ في قوله: ﴿إِن كُنَّا﴾:

﴿إن﴾ مخفَّفةٌ من (إنَّ) الثَّقيلة، قد حُذِفَ اسمُها الذي هو ضميرُ الشَّأن، وقد أُهمِلَتْ عن العمل، بسبب التَّخفيف، فإنَّه مجوزٌ للإهمال، والجملةُ بعدها، وهي ﴿كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ سادَّةٌ مسدَّ اسمها وخبرها، واقتران خبر (كان) باللام في الجملة التي بعدها؛ للفرق بين ﴿إن﴾ المخفَّفة المؤكِّدة وبين (إنْ) النّافية[1]، والتَّقدير: (إنَّ الشَّأنَ كُنّا في ضلالٍ واضحٍ لا خفاءَ فيه)[2]، والغرضُ من هذا الخبر المؤكَّد - بإنْ واللام المزحلقة والجملة الاسميَّة ﴿كُنَّا﴾ التي تدلُّ على الاستمرار والثُّبوت - تأكيدُ ضلالهم المبين، وزيادةُ تحسُّرهم، أي: إنَّ الخبرَ سيقَ مساقَ التَّحسُّرِ والنَّدمِ وزيادةِ الألم.

خبرٌ سيقَ مساقَ التَّحسُّرِ والنَّدم وزيادةِ الألم

دلالةُ فعلِ الكون الماضي في قوله: ﴿كُنَّا﴾:

كان مِن الممكن أنْ يقالَ: (تالله إنَّنا لفي ضلالٍ مبين)، ولكنَّ القرآنَ أتى بفعل الكون الماضي ﴿كُنَّا﴾ مضافًا إلى الجمع، فقال: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ للتَّأكيد على تحقُّق الضَّلال فيهم، وتمكُّنِهم منهم وانْغماسِهم فيه واستمرارهم عليه، وعِظم هذا الضَّلال الذي وقع من مجموعهم لا آحادهم، بما يدلُّ على اعترافهم بعظيم قبيح فِعلهم وشدَّةِ تحسُّرهم وندمهم، بالإضافة إلى أنَّ "الغالب ألّا تَخْلوَ الجُملَةُ الَّتي بَعْدَ ﴿إن﴾ المُخَفَّفَةِ عَنْ فِعْلٍ من بابِ (كانَ)"[3].

تأكيدُ المشركين بعظيمِ قُبحِ ضلالِهم وتمكُّنِه منهم واستمرارِهم عليه دليلُ تحسُّرٍ ونَدَمٍ

دلالةُ التَّعبيرِ بـ(في) في قوله: ﴿لَفِي ضَلَٰلٍ﴾:

ظرفيَّةُ (في) هنا ﴿إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ مجازيَّةٌ، ومعناها:

الظَّرفيَّةُ مبالغةٌ في بيانِ تمكُّنِ الضَّلالِ منهم وانهماكهم فيه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 153.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 252.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 153.

يدلُّ على الاشتمال، ويفيدُ التَّمكُّنَ وشدَّة الالتصاق، والملابسة، والإغراق، أي: أفادوا تَمكُّنَ الضَّلالِ منهم، وأنَّهم متوغِّلون منهمكون فيه، بحيث لم يكن يُرجى خلاصُهم منه؛ لأنَّ المَظروفَ شديدُ المُلابَسةِ لظَرفِه[1]، وقد أحاطَ بهم الضَّلالُ إحاطَةَ الظَّرْفِ بِالمَظْروفِ، واستغرقهم، أي: احتواهم، وصاروا يسارعون في أرجائه من ضلالٍ إلى ضلال[2]، وهذا المعنى أبلغُ ممّا لو عُبِّر بقوله: (إنّ كنّا لضالّين، أو لمن الضّالّين)[3].

إيثارُ التَّعبيرِ بلفظِ: ﴿ضَلَٰلٍ﴾:

وصفُ أنفسِهم بالضَّلالِ بيانٌ لحقيقةِ حالِهم من الانحرافِ عن الحقِّ

التَّعبيرُ بلفظِ الضَّلالِ في قوله تعالى: ﴿إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ دون غيره - كلفظِ (الخطأ) و(العوج) و(الزيغ) و(الميل) و(الغفلة) مثلًا - أنسبُ مع السّياق والمقام، أمّا السّياقُ؛ فقد ذُكِرَ فيه وصفُ عابدي غيرِ الله بالغواية، وهي من معاني الضَّلال؛ فهي ضلالٌ في غير رشدٍ، قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ و﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾، وأمّا المقامُ؛ فقد كان حالهم بعبادتهم لهذهِ الأصنامِ منحرفين عن الطَّريقِ المستقيم طريقِ الهدى والرَّشاد، طريقِ عبادةِ الواحدِ الأحد، والضَّلال من معانية العدولُ عن الطريقِ المستقيم[4]، وهو ضدُّ الهدايةِ والرَّشاد[5]، كما كان حالهم يومَ القيامة ضياعَ جهدهم في عبادة أصنام لا تضرُّ، ولا تنفع، وأصلُ الضَّلال في اللُّغة ضياعُ الشَّيء وذهابه في غير حقِّه[6].

نكتةُ التنكير في قوله: ﴿ضَلَٰلٍ﴾:

نكَّرَ النَّظم الحكيم لفظَ ﴿ضَلَٰلٍ﴾ هنا، فلم يقل: لفي الضَّلال

في اعترافهم بِعِظَمِ ضلالهم تشنيعٌ منهم على أنفسهم وتحسُّرٌ عليها

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 19/ 153.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5374.
(3) القونوي وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 14/ 269.
(4) الرّاغب، المفردات: (ضلّ)، والزّبيدي، تاج العروس: (ضلل).
(5) الخليل، العين: (رشد).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضل).

المبين؛ للدَّلالة على تهويل الضَّلال الذي كانوا عليه، أي: اعتَرَفوا أنَّهم كانوا في أعظمِ الضَّلالِ وأبْيَنِه، فهو ضلالٌ عجيبٌ عظيمٌ لا يُقادَرُ قدرُهُ؛ إذْ جعَلوا للّهِ شبهًا وعِدْلًا مِن خَلْقِهِ، سوَّوْهم به في العبادةِ والتَّعظيم، وفي هذا مزيدٌ من تشنيعهم على أنفسِهم وتحسُّرٌ عليها.

نكتةُ التَّعبيرِ بـ ﴿مُّبِينٍ﴾:

وصفُ الضّالّين ضلالَهم بالوضوحِ إشباعٌ في إظهارِ ندَمِهم وتَحسُّرِهم وعِظَمِ خَطَئِهم

أكَّد الضّالون عن سبيلِ الرَّشاد تَمكُّنَ الضَّلالِ منهم، بوَصفِهمُ الضَّلالَ بالـ ﴿مُّبِينٍ﴾، في قوله تعالى: ﴿إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، وفي هذا تَسفيهٌ منهم لأنفُسِهم، واعترافهم بانطماسِ بصيرتهم، وضياعِ ألبابهم في وسطِ ذلك التّيه من الضَّلال[1]؛ إذْ تَمشَّى عليها هذا الضَّلالُ الَّذي ما كان له أنْ يَروجَ على ذي مُسْكةٍ مِن عقلٍ[2]؛ لكونهِ ضلالًا ظاهِرًا بَيِّنًا بواحًا لا شُبهةَ فيه، كما أنَّ وصفهم لضلالهم بالوضوحِ إشباعٌ في إظهارِ ندَمِهم وتَحسُّرِهم، وبيانِ عِظَمِ خَطَئِهم في رأيهم، مع وُضوحِ الحقِّ، كما يُنْبِئُ عنه تَصديرُ قَسَمِهم بحرفِ التّاءِ المُشعِرةِ بالتَّعجُّبِ[3].

وقد جاءت صيغةُ اسم الفاعل في هذا الوصف؛ للدَّلالةِ على المبالغةِ في بيانِ ثباتِ وضوحِ هذا الضَّلالِ واستمرارِ هذا الوضوح؛ لأنَّ اسمَ الفاعل يدلُّ على الثُّبوتِ والدَّوام، وخاصَّةً أنَّه جاء في سياقِ جملةٍ اسميَّةٍ تدلُّ كذلك على الثُّبوتِ والاستقرار.

سرُّ توالي المؤكِّدات في نظم الآية:

مبالغةُ المشركين في اعترافِهم بعظمِ ضلالهم وحسرتهم

توالتِ المؤكِّدات في نظم قوله تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ على لسانِ المشركين، وهم في النّارِ يتخاصَمونَ مع معبوداتِهم؛ لتفصحَ عن اعترافهم بعِظَمِ ضلالهم - الذي استغرقهم - وحسرتهم وندمهم ندمًا عظيمًا، وقد تمثَّلتْ هذه المؤكِّدات: بالقسم

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5374.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 153.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 252.

﴿تَٱللَّهِ﴾ و﴿إِن﴾ المخفَّفة مِن الثَّقيلةِ، و(اللام) في ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، و(كان) الدّالَّة على الدَّوامِ والاستمرارِ، واسم الفاعل الذي وُصِفَ به ضلالهم، والذي يدلُّ على الثُّبوتِ والدَّوام.

معنى ﴿إِذْ﴾، وموقِعُها الإعرابيُّ:

تصويرُ الكافرين لحالهم الضّالَّة الماضية يدلُّ على شـدَّة ندمهم على التَّسويةِ القبيحة

﴿إِذْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ظرفٌ لكونهم في ضلالٍ مبين، أي: ظرفٌ متعلِّق بـ ﴿كُنَّا﴾، والمعنى: (إنْ كُنّا في ضَلالٍ في وقْتِ إنّا نُسَوّيكم بِرَبِّ العالَمينَ)، ولَيْسَتْ ﴿إِذْ﴾ بِمَوْضوعَةٍ لِلتَّعْليلِ[1]، أو ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ لِما دلَّ عليه الكلامُ، أي: ضللنا حين نسوّيكم بربِّ العالمين، أو هي ظرفٌ لمبين، والمعنى: (إنْ كُنّا في ضَلالٍ مبينٍ في وقْتِ إنّا نُسَوّيكم بِرَبِّ العالَمينَ)[2]، وهذا الظَّرفُ على اختلاف ما تعلَّق به يدلُّ على الماضي، وذُكِرَ مع المضارع ﴿نُسَوِّيكُم﴾؛ لتصويرِ حالهم في الماضي[3]، بما يدلُّ على شدَّة النَّدم.

علَّةُ التَّعبيرِ في قوله: ﴿نُسَوِّيكُم﴾:

تـعـبـيرُهـم بلفظِ التَّسوية مبالغةٌ منهم في الاستنكارِ على أنفسهم

التَّسويةُ في قوله تعالى: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ المُعادلةُ والمُماثلةُ، أي: إذ نَجْعَلُكم مثل ربِّ العالمينَ، وقد عبَّر بها البيانُ القرآنيُّ؛ إمّا لأنَّ المشركين جَعَلوا الأصنام مِثْلَهُ مَعَ الاعْترافِ بِالإلَهيَّةِ وفق ظاهر الكلام، وهو ظاهِرُ حالِ إشراكِهم، كما تَقَدَّمَ في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: 77]، أو أنَّهم جَعَلوها مِثْلَهُ فيما تَبَيَّنَ لَهم مِن إلَهيَّتِهِ يَوْمَئِذٍ؛ إذْ كانوا لا يُؤْمِنونَ بِاللّه أصْلًا في الدُّنْيا، فهي تَسْوِيَةٌ بِالمَآلِ، وقَدْ آبوا إلى الاعْترافِ، بِما تَضَمَّنَتْهُ كَلِمَةُ إبْراهيمَ لَهم في الدُّنْيا، وهي قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: 77][4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 153.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 252.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5374.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 154.

وعلى كلا الأمرين فإنَّ تعبيرَهُم بلفظِ التَّسوية مبالغةٌ منهم في الاستنكار على أنفسهم؛ لأنَّهم أدركوا أنَّ هذه حجارةٌ لا تُعبد، بل يُرْمَى بها، وهذا ربُّ العالمين الذي خلقَ العقلاء جميعًا، وقام على ربوبيَّتهم، فهو الحيُّ القيّومُ اللطيفُ الخبير[1].

غرضُ العدولِ في قولهِ: ﴿نُسَوِّيكُم﴾:

التَّعبيرُ بصيغة المضارع في قوله: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ دون الماضي (سويناكم)؛ لاستحضارِ الصّورةِ الماضيةِ العجيبةِ حينَ يَتوجَّهون إلى الأصنامِ بالدُّعاءِ والنُّعوتِ الإلهيَّة[2]؛ لأنَّ من شأنِ الفعل المضارع أنْ يرسمَ المشهد دائمًا، والتَّقديرُ: (تاللّه لقد كُنّا في غايةِ الضَّلالِ الفاحش وقتَ تسويتنا إيّاكُم - أيُّها الأصنامُ - في استحقاقِ العبادة بربِّ العالمين، الذي أنتم أدنى مخلوقاته وأذلُّهم وأعجزُهم)[3]، وفي هذا مبالغةٌ في توبيخِ أنفسهم وأصنامهم.

استحضارُ الصّورةِ الماضيةِ العجيبةِ من التَّسويةِ مبالغةٌ في توبيخِ أنفسِهم وأصنامهم

دلالةُ تنزيلِ غير العاقل منزلةَ العاقل:

تَوجيهُ الخاوين الخِطابَ في ﴿نُسَوِّيكُم﴾ - على جهةِ الإقرارِ، والاعترافِ بالحَقِّ - إلى الشَّيءِ الَّذي لا يَعقِلُ، وكان سببًا في الأمرِ الَّذي جَرَّ إليه النَّدامةَ - وهو الأصنام - بتَنزيله مَنزلةَ مَن يَعقِلُ، ويَسمَعُ؛ للمُبالَغةِ في تَوبيخِ أنفسهم، وهو أسلوبٌ متَّبعٌ في الكلام نثرًا ونظمًا، وعن ابن مسعود ﷺ: أنَّهُ وقَفَ عَلى الصَّفا يُلَبّي، ويخاطبُ لسانه ينزِّله منزلةَ العاقل، ويقول: "يا لِسانُ قُلْ خَيْرًا؛ تَغْنَم، واسْكُتْ عَنْ شَرٍّ؛ تَسْلَم"[4].

توجيهُ الخاوين الخِطابَ للأصنامِ التي لا تعقلُ مُبالَغةٌ في التَّحسُّرِ والنَّدامةِ وتوبيخِ أنفسهم

معنى الباء ودلالتها في ﴿بِرَبِّ﴾:

الباءُ في قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ للإلصاقِ، أي: قاموا بمماثلةٍ في العبادة والطّاعة والحُبِّ والصَّدقات والدُّعاء ملتصقةً

دلالةُ الإلصاقِ بيانٌ لبالغِ حُمقِهم؛ إذ يسوّون الكمالَ المطلقَ بالنَّقصِ الكامل

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5374.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 252، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 154.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 252.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 143، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 154.

بربِّ العالمين، أي: يجعلون أصنامَهم مماثلةً للّه في كلِّ شيء، فيعبدونها، كما يعبدون ربَّ العالمين، وفي هذا مبالغةٌ في الاعتراف بحمقِهم؛ إذ يسوّون بينَ اللّه الذي له الكمالُ المطلق - وهو ربُّ العالمين - وبين مخلوقٍ تلحظُهُ عنايةُ اللّه ورعايته في كلِّ شؤونه، أي: إنْ كنّا في ضلالٍ ظاهرٍ جدًّا، حين نسوّيكم في الرُّتبةِ بربِّ العالمين الذين فطرهم، ودبَّرهم[1].

من ربّى العالمين تحت ظلالِ عطفه، وأنعمَ عليهم بجزيلِ برِّه ولطفِهِ؛ يستحقُّ العبادةَ وحدَهُ

علَّةُ اصطفاءِ التَّعبير في ﴿بِرَبِّ﴾:

آثر النَّظمُ الحكيمُ لفظَ الرُّبوبيَّة في قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ دون لفظِ الألوهيَّة؛ لأنَّ لفظَ الربوبيَّة يدلُّ على الملك والتربية والرعاية والعناية والتَّدبير والقوامة والإصلاح والعطاء والإنعام، وهذا أنسبُ في نفي التَّسوية بين القادر والعاجز، وأنسبُ للسّياق الذي تحدَّث عن النَّفع على لسانِ إبراهيمَ ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ﴾، وأنسبُ للمقام، وهو مقامُ التَّحسُّر منهم على كونهم عبدوا أصنامًا لا تملك لنفسِها نفعًا ولا ضرًّا فضلًا عن أنْ تملك لهم ذلك، وتركوا عبادة ربِّهم الخالقِ لكلِّ شيءٍ، ومن جملة ذلك ما يعبدون، والمدبِّرِ لأمورِهم، وهو من ربّاهم تحت ظلالِ عطفِه، وأنعمَ عليهم بجزيلِ برِّه ولطفِه، فهو جديرٌ باختصاصِهِ بالعبادةِ، وكذلك فإنَّ لفظ (ربّ) في أصله مصدرٌ بمعنى التربية، ثم استُعمِلَ وصفًا لقصد المبالغة، والمبالغةُ منهم تدلُّ على زيادةِ حسرتهم.

دلالةُ التَّعريفِ في: ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

اللهُ ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُهُ وهذا من كمالِ غناه سبحانه وتمامِ فقرِ مخلوقاته

(أل) التَّعريف في قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ جنسيَّةٌ استغراقيَّةٌ، تفيدُ العمومَ، أي: هو ربُّ جميعِ العوالم، المنفرد بخلقها كلِّها وتدبيرها والإنعامِ عليها، كما دلَّ العمومُ على كمالِ غناه سبحانه، وتمام فقرِ جميع أنواع المخلوقات في هذه العوالم إليه.

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 14/ 59.

سرُّ العدولِ في ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

جمعٌ يدلُّ على علمِهِ وعظمته وأحقيَّته بالعبادة دون أصنامٍ عاجزة لا تعقل

﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ جمع (عالَم)، وهو جمعٌ مُلحقٌ بجمع المذكر السّالم؛ إذ الأصل في جمع (عالَم) (عوالم)، ولكنَّ البيانَ القرآنيَّ جمعها على لفظ ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنَّ في جمعِ العالمين معنى الوصفيَّةِ الدّالة على العلم، ولأنَّ فيه تغليبًا للعقلاء على غيرهم[1]، وعدولًا عن جمعِ الكثرة إلى القلَّة تنبيهًا على أنَّ أصنافَ الخلائقِ، وإنْ كثُروا فهم قليلون في جانب عظمةِ الله وكبريائه[2].

نوعُ الإضافةِ وبلاغتُها في قوله: ﴿بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

إضافةُ تعظيمٍ للهِ سبحانه إذ جَعل ما خلَقَهُ، ودبَّرَ أمرَه طريقًا للإيمانِ به

لا يُقصد بإضافةِ ﴿بِرَبِّ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ تعريفُ المضافِ، وهو الله سبحانه؛ لعدم توقُّف معناه على المُضاف إليه؛ إذ لا يُطلَقُ على غيره إلّا مُقيَّدًا[3]، وإنَّما يُقصدُ به تعظيمُ الله سبحانه؛ لأنَّ إضافةَ الأشياءِ إلى الله تعالى نحو الكليّات يخرج مخرجَ تعظيمِ الله تعالى[4]، فهو ربُّ جميعِ العوالم، المنفردُ بخلقها كلِّها وتدبيرها والإنعام عليها، ويُقصد بها الدَّلالةُ على كمالِ عظمةِ الله سبحانه، وأنَّه جَعل ما خلقه، ودبَّر أمره، طريقًا للإيمان به.

جهةُ التَّسوية المحذوفةِ، وسرُّ حذفِها:

استحقاقُ اللهِ للعبادة أمرٌ لا يخفى حتّى يُذكر

جهةُ التَّسويةِ في قوله تعالى: ﴿إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ هي استحقاقُ العبادَة، أي: جعلوها مستحقَّةً للعبادة مثل الله سبحانه، وقد حذفها البيان الإلهيُّ؛ اختصارًا لكونها مفهومةً من السّياق والمقام، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢﴾ [الشعراء: 70 - 72].

(1) البيضاوي، أنوار التَّنزيل: 1/ 28.
(2) الهرري، حدائق الرّوح والريحان: 1/ 57.
(3) القونوي وابن التمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 1/ 183 - 184.
(4) الماتريدي، تأويلات أهل السّنّة: 10/ 299.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المخاصمة والمجادلة والمحاورة والمنازعة والاختلاف:

المُخاصَمَةُ في أصلها: المنازعةُ[1]، وخَصَمتُهُ، أي: نازعتُهُ خَصْمًا، والمُخاصَمَة: أنْ يتعلَّقَ كلُّ واحدٍ بخَصم الآخر، أي: جانبه، وأنْ يجذبَ كلُّ واحد خُصْمَ الجوالِق من جانب[2]، وأصلها من خَصْمِ الآخر وغيره، وهو ناحيته وجانبه، وذلك أنَّ كلًّا من المتخاصمين يأخذُ في ناحيةٍ وجانبٍ غير الذي أخذَ به صاحبُه[3]، خاصَمَهُ فخَصَمَهُ: غَلَبَهُ بالحُجَّةِ، والخَصْمُ يَصْلُحُ لِلْواحِدِ والجَمعِ والذَّكَرِ والأُنثى؛ لأَنَّهُ مَصْدَرُ خَصَمتُهُ خَصْمًا[4]، وأمّا المجادلةُ؛ فأصلُها هوَ مِنْ بابِ اسْتِحْكامِ الشَّيْءِ في اسْتِرْسالٍ يَكونُ فيهِ، وامتدادِ الخُصومَةِ ومُراجَعَةِ الكَلامِ[5]، والجَدَلُ: اللَّدَدُ في الخُصومةِ والقُدْرَةُ عليْها، والغَرَضُ منه إلزامُ الخَصْمِ وإفهامُ مَن هوَ قاصِرٌ عَن إدْراكِ مُقَدِّمات البُرهان[6]، والجِدالُ: مِراءٌ يَتعلَّقُ بإظهارِ المَذاهبِ وتَقريرِها، وهوَ التَّخاصُمُ بِما يَشْغَلُ عَن ظُهورِ الحَقِّ ووُضوحِ الصَّواب، وهوَ محمودٌ إنِ كانَ للوُقوفِ على الحَقِّ، وإلّا فمذمومٌ[7]، وقيل: أصلُ الجَدَل من جَدَلتُ الحبلَ، أي: فتلته فتلًا مُحكمًا وهو الجديل، فكأنَّ كُلًّا من المتجادلين يفتلُ صاحبَه عن قولهِ إلى قولِه، وقيل: أصلُه من القوَّةِ، فكأنَّ كلًّا من المتجادلين يقوّي قوله، ويضعِّفُ قولَ صاحبِه، وقيل: أصلُهُ من المصارعة والإلقاء على الجَدالَة، وهي الأرضُ الصُّلبة، فكأنَّ كلًّا منهما يريدُ أنْ يصرعَ صاحبَه، ويجعله بمنزلة من يلقيه

المخاصمةُ مجادلةٌ يتعلَّق فيها كلُّ واحدٍ بخصمِ الآخر، وتتناسب مع حالِ أهل النّار

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خصم).
(2) الرّاغب، المفردات: (خصم).
(3) السّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (خصم).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (خصم).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جدل).
(6) الزّبيدي، تاج العروس: (جدل).
(7) الزّبيدي، تاج العروس: (جدل).

بالجدالة[1]، وأمّا المُحاوَرَةُ؛ فأصلها من الرُّجوع، والمحاورةُ: المُجاوَبَةُ والمرادَّةُ في الكلام، يُقال: كَلَّمتُه، فما رَجَعَ إِلَيَّ حَوارًا، أَي: جَوابًا، وقد تَحاوَروا: تَراجَعوا الكلامَ بَيْنَهُم[2]، وحاوره: جاوَبَهُ، وبادله الكلامَ، وجادَله[3]، وأمّا المنازعةُ؛ فتدلُّ في أصلها على قَلْعِ شَيْءٍ، والمِنْزَعُ: الشَّديدُ النَّزْعِ[4]، والأَصْلُ في المُنازَعَةِ المُجاذَبَةُ، ثمَّ عُبِّرَ بِهِ عَن المُخاصَمَةِ[5]، فالتَّنازعُ: التَّداولُ والجذبُ عمومًا[6]، والمنازعةُ: المجادلةُ؛ لأنَّ كُلًّا من المتجادلين ينزعُ صاحبه عن غرضه[7]، والمنازعةُ لا تكون إِلّا في ما يُنكر المَطْلوب، ولا يَقع ما يعْتَرف بِهِ الخصمان مُنازعَة[8]، وأمّا الاختلافُ؛ فهو عدمُ الاتِّفاقِ والاجتماعِ على رأيٍ أو موقفٍ أو حُكمٍ أو نحوه، كأنَّ كلًّا يذهبُ إلى ما جعله الآخر خَلْفه[9]، وكأنَّ كلَّ واحدٍ يأخذُ طريقًا غيرَ طريقِ الآخر في حاله أو قوله، والخِلافُ أعمُّ من الضِّدِّ، فكلُّ ضدَّين مختلفان، وليس كلُّ مختلفين ضدَّين، ولمّا كان الاختلافُ بين النّاس في القول قد يقتضي التَّنازعَ؛ استعيرَ ذلك للمنازعة والمجادلة[10].

إذًا: المخاصمةُ هي مجادلةٌ يأخذُ فيها كلٌّ من المتخاصمين بخصمِ الآخر، أي: جانبه، ويأخذُ ناحيةً وجانبًا غيرَ الَّذي أخذَ به صاحبه، وهذا يتناسبُ مع أَهل النّار حيث يتبرَّأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا، ويحاول كلُّ طرفٍ منهم أنْ يضعَ اللَّومَ على الآخر.

الضَّلال والخَطأ:

الضَّلالُ: يدلُّ في أصله على ضياعِ الشَّيءِ وذهابه في غيرِ حقِّهِ وهلاكه[11]، وهو: ضدُّ الهدى؛ إذ يُقال لِكُلِّ عُدُلٍ عَن الحَقِّ، عَمدًا كانَ أَو سَهْوًا، يَسيرًا كانَ أَو كثيرًا[12]،

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (جدل).
(2) السّمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس: (حور).
(3) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (حور).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نزع).
(5) الزّبيدي، تاج العروس: (نزع).
(6) الفراهي، مفردات القرآن، ص: 160.
(7) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (نزع).
(8) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 64.
(9) المعجم الوسيط، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (خلف).
(10) الرّاغب، المفردات: (ضلّ).
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ضل).
(12) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 394، والزّبيدي، تاج العروس: (ضلل).

الـضَّـلالُ عـدولٌ عـن الـحـقِّ والـهـدى، فـنـاسـبَ استحقاقَ أهلِ النّار للعذاب

ويُستعمل بمعنى الخطأ[1]، وأمّا الخَطأُ؛ فهو ضدُّ الصّواب، وهو مالم يُتعمَّد، وأخطأ الطَّريق: عدلَ عنه، وأخطأَ: سلكَ سبيلَ الخطأ عمدًا وسهوًا، ويُقال لمنْ أرادَ شيئًا فعلَ غيرَهُ، أو فعلَ غيرَ الصواب: أخطأ[2]، والخطأُ: وقوعُ الفعل على خلافِ مقصود الفاعل، وقد ورد في القرآن على ثلاثة أوجه: الشِّرك، والذَّنب، وما لم يتعمَّد[3]، إذًا: يتميَّز الخطأ بأنَّه ضدُّ الصَّواب، وأكثره يُستعمل في ما لم يُتعمَّد[4]، بينما يتميَّز الضَّلال بأنَّه ضدُّ الهدى والرَّشاد، وهو أعمُّ من الخطأ؛ إذ أحد معاني الضَّلال هو الخطأ، كما أنَّ استعمالَ الضَّلال أكثرُه جاء في الذَّمِّ.

ومن هنا كان استعمالُ لفظِ الضَّلال أنسبَ لحالِ أهل النّار واعترافهم؛ إذ هلاكُهم واستحقاقهم النّارَ كان بسببِ عدولِهم عن الحقِّ والهدى، وليس خطأً.

التَّسوية والتَّشبيه:

التَّسويةُ تعادلٌ بـين شـيـئـين، والـتَّـشـبـيـهُ اشـتـراكٌ أو مـمـاثـلـةٌ بين شيئين ولو من وجه

أصلُ التَّسوية من (سَوي)، ويدلُّ على اسْتِقامَةٍ واعْتِدالٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، يُقالُ: هَذا لا يُساوي كَذا، أَيْ: لا يُعادِلُهُ، والسّيُّ: المِثْلُ، وقَوْلُهُم: سيّانِ، أَيْ: مِثْلانِ[5]، وساوى بينهما: سوّى، جعلهما متعادِلَيْن ومتماثلين، وساواه: عادلَهُ، وماثله قَدْرًا أو قيمةً، ويُستعملُ في مطلق التَّسوية في القَدْرِ أو الحال[6]، بينما أصلُ التَّشبيهِ من (شبه) يَدُلُّ على تَشابُهِ الشَّيْءِ، وتَشاكُلِهِ لَوْنًا ووَصْفًا[7]، والشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبيهُ: المِثْلُ، وأَشْبَهَ الشيءُ الشَّيءَ: ماثَلَهُ[8]، والمشابهةُ حقيقتها في المماثلة

(1) الرّاغب، المفردات: (ضلّ).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس: (خطأ).
(3) ابن الجوزي، نزهة الأعين النّواظر، ص: 271.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (خطأ).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقي، وعمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (سوى).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شبه).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (شبه).

من جهةِ الكيفيَّةِ، كاللَّون والطَّعم، وكالعدالة والظُّلم[1]، والتَّشابهُ: اشتراكٌ في ظاهر الصّورة، أو الشَّبه في ظاهر أمرين لشبه كلٍّ منهما بالآخر بحيث يخفى خصوصُ كلٍّ منهما، والتَّشبيه: إقامةُ شيءٍ مقامَ شيء لصفةٍ جامعةٍ بينهما ذاتيَّة أو معنوية، فالذاتيَّةُ نحو: هذا الدِّرهم كهذا الدِّرهم، وهذا السَّواد كهذا السَّواد، والمعنويَّةُ نحو: (زيدٌ كالأسد)، أي: في شدَّته[2].

إذًا: التَّسويةُ جعْلُ الشَّيئين متعادلَيْن ومتماثلَين، وهذا يتناسبُ مع ما فعله الكافرون من جعْلِ أصنامهم ومعبوداتهم مساويةً ومعادلةً لربِّ العالمين في عبادتهم لها.

(1) الرّاغب، المفردات: (شبه).

(2) المناوي، التّوقيف على مهمات التّعريف، ص: 97.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والثلاثون،
سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 39 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-84-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 39 : المجلد التاسع والثلاثون، سورة الشُّعَراء من الآية 96 إلى سورة النَّمْلِ الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-84-6
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8468153 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»